مختصر
جامع العلوم والحكم

للإمام الحافظ ابن رجب الحنبلي

اختصره وعلق عليه

محمد بن سليمان بن عبد الله المهنا

بسم الله الرحمن الرحيم

الحَدِيثُ الخَمْسُونَ

■ عـن عَبْـدِ اللهِ بنِ بُسْـرٍ، قَالَ: أَتَـى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلٌ؛ فقَالَ: يَا رَسُـولَ اللهِ؛ إِنَّ شَـرَائِعَ الإِسْـلَامِ قَـدْ كَثُرَتْ عَلَيْنَا؛ فبَابٌ نَتَمَسَّـكُ بِهِ جَامِعٌ؟ قَالَ: «لَا يَزَالُ لِسَـانُكَ رَطْبًا مِنْ ذِكْرِ اللهِ جَلَّ جَلَالُهُ».

خَرَّجَهُ الإِمَامُ أَحْمَدُ، بِهذَا اللَّفْظِ.

الشَّرحُ

قَدْ أمرَ اللهُ سُبحانَهُ المؤمنينَ بأَن يذكُرُوهُ ذِكْرًا كثيرًا، ومَدَحَ مَـن ذكرَهُ كذلكَ؛ قـالَ تعالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾﴾ [الأحـزاب: ٤١-٤٢]، وقـالَ تعالَـى: ﴿وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿١٠﴾﴾ [الجمعة: ١٠].

وفي «صَحيح مُسلِمٍ» عَن أبي هُرَيرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مرَّ علَى جبلٍ يُقالُ لهُ: جُمْدان[1]؛ فقالَ: «سِيرُوا! هذَا جُمْدانُ! قدْ سَبَقَ المُفَرِّدُونَ!»؛ قالُوا: ومَنِ المُفَرِّدُونَ؟ قالَ: «الذَّاكِرُونَ اللهَ كثيرًا، والذَّاكِراتُ»[2].

ومِن هذَا المعنَى: قولُ عُمَرَ بنِ عَبْدِ العزيزِ ليلةَ عرفةَ، عِندَ قُرْبِ الإفاضةِ: «ليسَ السَّابقُ -اليومَ- مَن سبقَ بعيرُهُ؛ وإنَّما السَّابقُ مَن غُفِرَ لهُ»!

وفي «صَحيح مُسلِمٍ»، عَن عائشةَ، قالَتْ: «كانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يذكرُ اللهَ علَى كلِّ أحيانِهِ»[3].

قالَ الحَسَنُ: «أحبُّ عِبادِ اللهِ إليهِ أكثرُهُم ذِكْرًا».

---

(١) جُمدان على وزن سبحان قالَ في «النِّهاية» (١/ ٢٩٢): «هُوَ -بضَمِّ الجيمِ، وسكونِ الميمِ- جبلٌ علَى ليلةٍ مِن المدينَةِ»؛ أَي: علَى بُعدِ ليلةٍ.

(٢) أخرجَهُ مُسلِمٌ (٢٦٧٦).

(٣) أخرجَهُ مُسلِمٌ (٣٧٣).

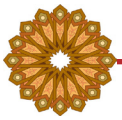

وقالَ كعبٌ: «مَنْ أكثرَ ذِكْرَ اللهِ؛ برئَ مِن النِّفاقِ»؛ ويشهدُ لهذَا المعنَى: أنَّ اللهَ تعالَى وصفَ المنافقينَ بأنَّهم لَا يذكرونَ اللهَ إلَّا قليلًا؛ فمَن أكثرَ ذِكْرَ اللهِ؛ فقدْ باينَهُم في أوصافِهِم؛ ولهذَا خُتِمَتْ سُورَةُ المنافقين بالأمرِ بذِكْرِ اللهِ؛ وأَن لَا يُلهيَ المؤمنَ عَن ذلكَ مالٌ ولَا ولدٌ؛ وأنَّ مَن ألهاهُ ذلكَ عَن ذِكْرِ اللهِ؛ فهُوَ مِن الخاسِرِينَ.

وقالَ الربيعُ بنُ أنس عَن بعض أصحابِه: «علامةُ حُبَّ اللهِ كثرةُ ذِكْرِهِ؛ فإنَّكَ لَن تُحِبَّ شيئًا إلَّا أكثرتَ ذِكْرَهُ».

وقولُ عائشةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «كانَ النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يذكرُ اللهَ علَى كلِّ أحيانِهِ»:

المعنَى: في حالِ قيامِهِ، ومشيِهِ، وقعودِهِ، واضطجاعِهِ، وسواءٌ كانَ علَى طهارَةٍ أَو حَدَثٍ.

وكانَ خالدُ بنُ معدانَ يسبِّحُ كلَّ يوم أربعينَ ألفَ تسبيحَةٍ، سِوَى مَا يقرأُ مِن القرآنِ! فلمَّا ماتَ؛ وُضِعَ علَى سريرِهِ ليُغسَّلَ؛

فجعلَ يشيرُ بأصبعِهِ؛ يحرِّكُها بالتَّسبيح!

وقيلَ لعُمير بنِ هانئٍ: مَا نرَى لِسانَكَ يفتُرُ؛ فكمْ تسبِّحُ كلَّ يوم؟ فقالَ: «مِئةَ ألفِ تسبيحَةٍ، إلَّا أَن تخطئَ الأصابعُ»؛ يَعنِي: أَنَّه كانَ يعدُّ ذلكَ بأصبعِهِ!

نامَ بعضُهم عِندَ إبراهيم بنِ أدهَمَ، قالَ: «فكنتُ كلَّما استيقظتُ مِن اللَّيلِ؛ وجدتُهُ يذكرُ اللهَ؛ فأغتمُّ! ثُمَّ أعزِّي نَفْسِي بهذِهِ الآيةِ: ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ﴾ [المائدة: ٥٤]»!

كلَّما قويَتِ المعرفةُ؛ صارَ الذِّكْرُ يجرِي علَى لسانِ الذَّاكرِينَ مِن غيرِ كُلفةٍ! ولهذَا يُلهَمُ أهلُ الجنَّةِ التَّسبيحَ؛ كمَا يُلهمون النَّفَسَ! وتصيرُ (لَا إلهَ إلَّا اللهُ) لَهم كالماءِ البارِدِ لأهلِ الدُّنيا!

أحدُ السَّبعةِ الَّذِينَ يظِلُّهُم اللهُ في ظِلِّه؛ يومَ لَا ظِلَّ إلَّا ظِلُّه: «رجلٌ ذَكَرَ اللهَ خاليًا؛ ففاضَتْ عيناهُ».

الذِّكْرُ لَذَّةُ قلوب العارفينَ؛ قالَ اللهُ جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ﴿٢٨﴾﴾[الرعد: ٢٨].

قالَ مالكُ بنُ دِينارٍ: «مَا تلذَّذَ المتلذِّذُونَ بمِثْلِ ذِكْرِ اللهِ».

❊❊❊